

لماذا نخاف الله؟

الكاتبة: د. مديحة السدحان ١٤٤٢ هـ



ظهرت في الآونة الأخيرة دعوات للبعد عن الخوف من الله، فالله رحيم ودود كريم فلم نخافه؟!

مع ما يصاحب هذه الدعوات من تذكير بحب الله لعباده، فلا يملك المرء والأمر كذلك إلا أن يرجوه، ويحبه، ويحسن الظن به، ولا يخافه إطلاقا، ويزعمون أن هذا الطريق هو السبيل للسلام الداخلي، والتفكير الإيجابي، والحب الإلهي وغيرها من العبارات التي يحسنون بها أهواءهم.

وهذه الدعوات وإن ظهرت بأساليب جديدة فهي عقيدة قديمة ظهرت عند أهل البدع، وقد رد عليها أئمة السلف الصالح، وبينوا ضلال



أهلهـا، ومـن أقـوالهم المـأثورة المشـهورة: (مـن عبـد اللـه بالحـب وحـده فهـو زنـديق، ومـن عبـده بالرجـاء وحـده فهـو مرجـىء، ومـن عبـده بـالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد).

ومـن لـزم سـماع كـلام اللـه وحـديث رسـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم هـدي إلـى الصـواب واسـتبان لـه الحـق، فقـد مـدح اللـه أهـل الخـوف منـه فـي مواضـع عديـدة ووعـدهم بجنتـه، والخـوف المحمـود الصـادق هـو الخـوف الـذي يحجـز صـاحبه عـن مَحارم اللـه - عـزَّ وجـلَّ - فـإذا تَجاوز ذلـك، خِيـفَ منْه اليأْس والقنوط.

قـال تعـالى مثنيـا علـى أهـل الخـوف منـه:(وَلِمَـنْ خَـافَ مَقَـامَ رَبِّـهِ جَنَّتَـانِ) [الـرحمن٤٦] ، و لمـا تسـاءل أهـل الجنـة عـن السـبب الـذي أوصـلهم إلـى مـا هـم فيـه مـن السـرور مـا ذكـروا غيـر خـوفهم مـن اللـه ،قـال تعـالى: (وَأَقْبَـلَ بَعْضُـهُمْ عَلَـىٰ بَعْـضٍ يَتَسَـاءَلُونَ ، قَـالُوا إِنَّـا كُنَّـا قَبْـلُ فِـي أَهْلِنَـا مُشْـفِقِينَ)[الطـور٢٥ ، ٢٦] ، فـالمؤمن يخـاف اللـه لأنـه قـد تعبـده بـالخوف منـه، وأمـره بـه، قـال تعـالى :(فَـلَا تَخَـافُوهُمْ وَخَـافُونِ إِن كُنـتُم مُّـؤْمِنِينَ) [آل عمـران ١٧٥].

فـالمؤمن قـد امـتلأ قلبـه خـوف هيبـة وإجـلال للـه، ومنشـأ ذلـك مـن أمور منها:



١- عظمة الله عز وجل فهو سبحانه ذو الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة، فالعبد يرى فوقه عظمة خلق السماء الدنيا، ومن فوقها ست سماوات، وقد وسع كرسيه سبحانه السموات والأرض، والملائكة على عظمة خلقها تخافه :(يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) [النحل ٥٠]، فكيف لا يخافه ويهابه وهو الضعيف الذليل الذي لو وقف أمام ملوك الدنيا لارتعدت جوارحه ؟

٢- ذل العبد وعبوديته لسيده ومالكه وخالقه، وهل خلق إلا ليعبد الله؟ فهو يرفع له يديه يسأله مسألة الفقير المسكين، ويضع جبهته في الأرض عندما يسجد له، فهو خائف ذليل يعلم أن العظيم مطلع عليه، قادر على عذابه، قال ابن تيمية رحمه الله: (ولهذا وُجد في المستأخرين من انبسط في دعوى المحبة حتى أخرجه ذلك إلى نوع من الرعونة والدعوى التي تنافي العبودية)

[الفتاوى ١٠/ ٢٠٧].

٣- ما ينتظره من الموت، والحساب، والجزاء، والعبور على الصراط المنصوب على نار جهنم في يوم عظيم عبوس قمطرير، و قد كثر في كتاب الله اقتران الخوف من الله بذكر يوم القيامة: (إِنِّي



أَخَــافُ إِنْ عَصَــيْتُ رَبِّــي عَــذَابَ يَــوْمٍ عَظِــيمٍ) [ســورة الأنعــام ١٥، ويونس ١٥ ،والزمر ١٣].

٤- اســتقامة النــاس لا تكــون إلا بــالخوف مــن العقــاب، فــإذا غــاب الخــوف ظهــرت المعاصــي، والظلــم، والعــدوان، وهــذا أمــر مشــاهد، ولهــذا كــان الخــوف مــن اللــه أصــل كــل خيــر فــي الــدنيا والآخــرة، ففــي الــدنيا نجــد التــزام النــاس بتطبيــق قــوانين المــرور يــزداد كلمــا زاد الحــزم فــي تطبيــق العقوبــات ، ولــم يتحســن وضــع النــاس إلا عنــدما أدرك الجميــع أن أي مخالفــة ينــتج عنهــا عقوبــة قويــة ،و قــد كــان الســلف يحثــون علــى مجانبــة مــن يكثــر الحــديث عــن حــب اللــه ولا يــذكر الخــوف منــه ، لمــا فــي ذلــك مــن الفســاد الــذي وقعــت فيــه بعــض الصــوفية. [ينظــر التحفة العراقية لابن تيمية ٧١].

وأركــان العبــادة عنــد أهــل الســنة ثلاثــة: الحــب والخــوف والرجــاء، فالواجــب الســير علــى مــنهجهم، فنعبــد اللــه بإيمــان وصــدق، قــال تعــالى:(قُــلْ إِن كُنــتُمْ تُحِبُّــونَ اللَّــهَ فَــاتَّبِعُونِي يُحْبِــبْكُمُ اللَّــهُ) [آل عمــران ٣١] ، ونحــذر محارمــه ولا نــأمن مكــره، بــل نخافــه ونرجــوه، قــال تعــالى: (أَفَــأَمِنُوا مَكْــرَ اللَّــهِ فَــلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) [الأعراف:٩٩].

*هذا المقال يعبر عن وجهة نظر الكاتب ولا يمثل - بالضرورة - رأي الناشر